المحاضرة الرّابعة:

نشأة أدب الطّفل وتطوّره.

I. أدب الطّفل في العالم.

II. أدب الأطفال في العصر الحديث.

III. أدب الأطفال في العالم العربي.

I. أدب الأطفال في العالم.

اختلفت نظرة الباحثين إلى بدايات هذا اللّون من الأدب، إذ عده كثير من الباحثين أدبا جديدا لم يعرف إلا منذ قرنين من الزّمن، يقول الباحث، هادي نعمان الهيتي، في ذلك: "...**وأدب الأطفال لم يكن طارئا على الأدب العربي فحسب، بل هو طارئ على الآداب العالمية كلّها؛ لأنّ الإنسان لم يقف على سلوك الطّفل وقفة علمية إلّا في السّنين الأخيرة**"[1].

لكن من الباحثين من يرى أن أدب الأطفال قديم قدم الأمومة والطّفولة نفسها، "...**فحيثما توجد أمومة وطفولة آدمية، يوجد بالضّرورة أدب الأطفال بقصصه، وحكايته، وترانيمه، وأغانيه، وأساطيره وفكاهاته. لا يخرج على هذا القانون الطّبيعي لغة، ولا يشذّ عنه جنس**"[2]، ويؤكد أصحاب هذا الطّرح أن أدب الأطفال كغيره من الأجناس الأدبية والفنون الأخرى، له صور معروفة منذ القديم تتلاءم مع طبيعة العصر وثقافته. ولكن صوره في القرون البعيدة لم تكن كصورته اليوم. كما لم تكن قواعده مثلما عرفها العصر الحديث الّذي بدأ يقنن، بل افتن في التّقسيم، والتّبويب، والتّخصيص. ويؤكد أصحاب هذا الطّرح أنّ أدب الطّفل يرتبط بالفلكلور، الّذي هو موجود لدى الشّعوب منذ القديم؛ فالأسبرطيين، مثلا، كانوا يربّون أبناءهم تربية عسكرية خشنة، وسجّل الفراعنة ما كان يحكى للصّغار من قصص تقوم في معظمها على الخرافة: كقصة (جزيرة الثّعبان)، و(قصة النّسر المسحور)، وغيرها من القصص؛ كما كان العرب القدامى يبعثون أبناءهم إلى البوادي مع مرضعات يتخيّرونهن لهم، ثم لا يعودوا بهم إلى الحضر حتى يبلغوا الثّامنة، أو العاشرة، وقد تعلّموا فصاحة الكلام، ونهلوا من روح الحرّية ما يؤهّلهم ليكونوا فرسانا...

---

[1] هادي نعمان الهيتي، **أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه**، ص: 72.

[2] علي الحديدي، **أدب الأطفال أهدافه، وسماته**، مكتبة الانجلو مصرية، ط:4، 1988م، ص:39

II. أدب الأطفال في العصر الحديث:

لقد ظهرت العناية والاهتمام بأدب الأطفال في القرنين الماضيين في أوروبا وأمريكا وكثير من بلدان العالم، ويتفق معظم من كتبوا عن تاريخ هذا الأدب أن فرنسا كانت رائدة هذا الجنس الأدبي في أوروبا، حيث ظهرت بها في أواخر القرن السّابع عشر أوّل مجموعة قصصية للأطفال بعنوان "**حكايات ماما وزة**" (Contes de ma mère l'oye)، التّي ألّفا الكاتب الفرنسي شارل بيروا (Charles Perrault) ونشرها سنة 1697م باسم ولده بيرو دارمانكور (P. D'armancour) خوفا على سمعته الأكاديمية، وقد ضمّت هذه المجموعة عددا من العناوين المشهورة التّي ترجمت فيما بعد إلى العديد من لغات العالم، مثل: سندريلا، الجميلة النّائمة، ذات القبعة الحمراء، عقلة الأصبع ...الخ؛ وبعد أن نالت هذه المجموعة شهرة كبيرة أردفها بمجموعة أخرى حملت اسمه بعنوان "**أقاصيص وحكايات الزمن الماضي**".

ومع انتشار آراء جان جاك روسو في تعليم الأطفال وتربيتهم، انتشرت الكتابة للأطفال وظهرت أوّل صحيفة للأطفال في فرنسا بين سنتي (1747 – 1791) رمز صاحبها لاسمه بعبارة (صديق الأطفال)، وقد امتازت الكتابات المنشورة في هذه الصّحيفة بالرّشاقة والسّهولة، كما امتازت بتنوع مصادرها، حيث كانت تنشر القصص المترجمة من بلدان ولغات مختلفة، ممّا أكسب أدب الأطفال في فرنسا ثراء واسعا أهّله للتّأثير في آداب الأطفال لدى الأمم الأخرى.

أما في إنجلترا: فقد امتزجت الكتابات للأطفال بالنّصح والإرشاد، فظهرت الكتب الدّينية التّي كانت تميل إلى التّخويف والتّرهيب، إضافة إلى المواعظ والحكم، وكان هذا النّوع من الكتب غير مرغوب فيه، بل شجبه بعض الفلاسفة آنذاك، حتى ترجمت قصص (حكايات ماما وزّة) للإنجليزية، فأثرت في تأليف كتب جديدة للأطفال، واقترن ذلك باسم الكاتب (جون نيوبري) (john Newberry) صاحب المكتبة الشّهيرة باسمه، والتّي خصّصها للأطفال. وأخرج نيوبري حوالي مئتي (200) كتاب صغير للأطفال تضم قصصا وأساطير وحكايات وخرافات، ثم ظهر

الكاتب (تشارلز لامب) (Charles lamb) (1775– 1834) بكتابة قصص مسلّية وممتعة للأطفال. وفي عام 1865 ظهرت أشهر مجموعة قصصية كتبت بالإنجليزية للأطفال وهي (أليس في بلاد العجائب) للكاتب (لويس كارول). "**والميزة الرّئيسة لأليس، هي أنّه قبل كلّ شيء كتاب للأطفال ... إنّه كتاب ليس له أي هدف سوى التّسلية، فهو يتجه نحو الخيال وحده، لكنّه من جهة أخرى يعد الكتاب الأدبي الأوّل للأطفال، وقد أخرج إلى حيز الوجود أحد الأسس الهامة في الحياة النّفسية (القلق).**

إن ما يميّز القلق الّذي نراه في كتاب "أليس في بلاد العجائب" هو أنه دون أي مناقشة، قلق الأطفال وحدهم ..."[3].

وبعد فرنسا وبريطانيا انتشر أدب الأطفال في كل أنحاء العالم، فاشتهر في ألمانيا مثلا الأخوان (يعقوب، ووليم جريم)، وقدما عام 1812م (**حكايات الأطفال والبيوت**) التّي ترجمت إلى عدّة لغات.

وظهرت في روسيا كتابات لـ: (بوشكين)، و(تولستوي)، و(مایاكوفسكي)، هذا الأخير الّذي ألف 16 مقطوعة للأطفال، و(إيفان كريلوف) الّذي اشتهر بالكتابة للأطفال على ألسنة الحيوانات، وكذلك (ماكسيم غوركي) الّذي أنشأ دارا خاصة لنشر أدب الطّفل.

كما ظهر في الدّانمارك رائد أدب الأطفال في أوروبا (هانز كريستيان أندرسون) (Hans Christian Anderson) (1805 – 1875)، الّذي اشتهر بكثرة تجواله في بلدان العالم تعرف منها على ثقافات الشّعوب الأخرى، كما اشتهر ببساطة أسلوبه، وظهر أوّل كتاب له تحت عنوان " **حكايات للأطفال**" في عام 1835م، ثم تبعته كتب أخرى، ومن أشهر قصصه للأطفال: (**ثياب الإمبراطور الجديد**)، و(**البطة القبيحة**) و(**مملكة الثّلوج**).

[3] الربعي بن سلامة، **من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي**، ص:41.

وتطورت الكتابات للأطفال في أمريكا على يد (صمويل جون ريتش) الّذي نشر (**حكايات بيتر بيلي**) عام 1827، وكتب أكثر من مئة (100) مؤلف للأطفال عن التّاريخ الأمريكي، وقد بلغ عدد النّاشرين للأطفال في أمريكا عام 1965 حوالي 5895 ناشرا، ووزعت أكثر من خمسة (5) ملايين نسخة من الكتب.

بالإضافة إلى ظهور أدب الأطفال في كثير من الدّول الأخرى على تفاوت النّسب في مدى تطوره وأهميته، وكان محور هدا الأدب في بعض الدّول ما تواجهه هذه الدّول من استعمار واستغلال، وخلافات مذهبية وطائفية، وكان معظم أفكاره مستمدة من الغرب وفلسفته.

III. أدب الأطفال في العالم العربي:

على الرّغم من أنّ الإرهاصات الأولى لأدب الأطفال في الوطن العربي كانت مبكّرة، إلا أن بداية ظهوره الفعلية كانت أواخر القرن التّاسع عشر، إثر ظهوره في فرنسا وأوروبا بشكل عام، ويعود ذلك لأسباب تتعلق بظهور الطّباعة وانتشارها. وظهر، خاصة، في مصر على عهد (محمد علي باشا) عن طريق التّرجمة نتيجة الاختلاط بالغرب. "**وكان أوّل من قدّم كتابا للأطفال [مترجما] عن اللّغة الإنجليزية هو (رفاعة الطّهطاوي)، الذي اختير ليكون مسؤولا عن التّعليم في ذلك الوقت... فترجم قصصا باسم (حكايات الأطفال)، وأدخل بعض القصص في المناهج المدرسية**"[4]، كما طلب إلى وكيل الحكومة المصرية بلندن أن يرسل كتبا مطبوعة ومؤلفة للصّغار والتّلاميذ بحيث تميل أذهانهم إليها.

ويرى د. أحمد زلط أن (محمد عثمان جلال) هو رائد أدب الأطفال في العالم العربي، حيث يقول: "**وديوانه (العيون اليواقظ)، هو فيما نزعم أوّل محاولة عربية تعبّد الطّريق أمام الكتّاب، لإرساء دعائم أدب الطّفولة، وهي محاولة تسبق محاولة أحمد شوقي بسنوات طويلة...**"[5]، وديوان (العيون اليواقظ)، كما يقول عنه صاحبه، هو ترجمة لحكايات لافونتين على ألسنة الحيوان، الّذي كان بدوره ترجمة لخرافات الأديب اليوناني (أيسوب)، الّذي عاش في القرن السّابع قبل الميلاد، ويضم الدّيوان مائتي (200) حكاية معظمها تروي قصصا تجري على لسان الحيوان والطّير، وتنتهي بموعظة أو حكمة أو مَثَلٍ... أضاف إليها الشّاعر حكايات أخرى على لسانه هو، ولكنه لم يصرح في بداية ديوانه بأنه ألّف هذه الحكايات أو ترجمها للأطفال، مما جعلها في نظر الكثيرين فرعا من الأدب العام، ليس إلا. ولم يشفع له ما قاله في

[4] محمد حسن بريغش، **أدب الأطفال، أهدافه وسماته**، ص:80.

[5] الربعي بن سلامة، **من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي**، ص: 42.

آخر المنظومة التّي جاءت على بحر الرجز، من أنه توجّه بها للأطفال والكبار معا، حيث قال في المقطوعة التّاسعة والثّمانين بعد المئة (189):

وإن أكن أكثرت في كتابي ... من قصص النّعاج والذّئاب
إياك أن تبخس قط ثمنه ... فقبله كليلة ودمنه
وقبله فاكهة للخلفا ... والصّادح والباغم وكفى
لكن أراك تعكس الآمالا ... تقول هذا ينفع الأطفالا
قل لي بالله على الصّحيح ... بلفظك المستعذب الفصيح
حكاية تعلم الأطفالا ... وتسحر النّساء والرجالا[6]

ويبدو أن عدم تحديد جمهور الدّيوان في الأوّل، وغموضه في الأخير، هو الّذي جعل الكثيرين ممّن كتبوا عن أدب الطّفل ينسبون ريادة الشّعر لأحمد شوقي، الّذي استقل في تجربته عن لافونتين، ولم يكتف بالنّسج على منواله. وفي ذلك يقول: "**وجريت بخاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافونتين الشّهير، وفي هذه المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث اجتمع بأحداث المصريين، وأقرأ عليهم شيئاً منها، فيفهمونه لأوّل وهلة، ويأنسون إليه ويضحكون من أكثره، وأنا أستبشر لذلك، وأتمنى لو وفقني الله لأجعل لأطفال المصريين مثلما جعل الشّعراء للأطفال في البلاد المتمدنة، منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم.**"[7]

وقد ألف شوقي الأناشيد والأغنيات، فكتب أكثر من ثلاثين (30) قصة شعرية، وعشر (10) مقطوعات من الأغاني والأناشيد.

[6] الربعي بن سلامة، **من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي**، ص: 42.
[7] محمد حسن بريغش، **أدب الأطفال، أهدافه وسماته**، ص: 81.

ومن أشهر الشّعراء العرب المعاصرين الّذين كتبوا للأطفال، نلفي الشّاعر السوري الكبير سليمان العيسى، الّذي كان شاعرا قوميا، ولكنه بعد هزيمة 1967م، تحوّل عن جيل الهزائم من الكبار نحو جيل الأطفال، الّذين علّق عليهم آمال الأمّة، ويرى فيهم مستقبلها، فقال:

أحاول أن أجتاز أمراض شعبنا ولو كنت أدري أنّني غير ناجح
تعلّقت بالأطفال هل كنت واهما سنولد يوما من ركام المذابـــح[8].

وفي عام 1903 م كتب علي فكري، كتابا بعنوان (**مسامرات البنات**) و(**النّصح المبين في محفوظات البنين**). ومع هذا، فإنّ أدب الأطفال لم يأخذ دوره الحقيقي في العالم العربي، إلا في عام 1922م، بمجيء الكاتب، محمد الهراوي، مؤسس مكتبة سمير للأطفال، حيث كتب لهم الأغاني والقصص، وممّا كتب لهم: منظومات قصصية بعنوان: (**سمير الأطفال للبنين**)، عام 1922م، ثم (**سمير الأطفال للبنات**)، عام 1924م في ثلاثة أجزاء؛ ثم (**أغاني الأطفال**) في أربعة أجزاء، ومن شعره لهم قوله:

أنا في الـصّبح تلـميـــذ وبعد الظهر نجـــــــّـــار
فلي قــلم وقرطـــــاس وإزميل ومنشـــــــــــار
وعلمي إن يكن شـــرفا فمـا في صـــنعتي عـار
فللـعلـماء مـــرتبـة ولـلصـــنّـاع مـقـدار[9]

أما في مجال الكتابة النّثرية فقد ظهرت القصّة النّثرية الحديثة الخاصة بالأطفال على يد رائد هذا الفن في مصر كامل كيلاني (1897م– 1959م)، الّذي اهتم بالتّأليف للأطفال، وأصدر لهم سنة 1927م قصة (**السّندباد البحري**)، وهي أوّل محاولة قصصية حديثة يقوم

[8] الربعي بن سلامة، **من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي**، ص: 44.
[9] محمد حسن بريغش، **أدب الأطفال، أهدافه وسماته، ص: 84**.

بتأليفها أديب عربي للأطفال خارج المقررات المدرسية، ثم أتبعها بمكتبة قصصية خاصة بالأطفال من سن الرّوضة إلى مرحلة الطّفولة المتأخّرة.

وبعد الكيلاني انتشرت كتابة القصّة للأطفال في مصر وفي مختلف أقطار العالم العربي، فاشتهر في مصر، عبد الحميد جودت، وعطية الأبراشي، وغيرهما، كما اشتهر في سوريا، زكريا تامر، وعبد الرزاق جعفر، وغيرهما، واشتهر في الأردن، راضي عبد الهادي، وعيسى النّاعوري، وغيرهما ...

وعلى العموم فقد اتسم تطور أدب الأطفال في الوطن العربي بوتيرة متشابهة عموما، تجمع بين التّرجمة حينا، والتأليف حينا آخر، وإنشاء مراكز رعاية الأطفال، وإصدار المجلات...